الوصفة السحرية للحياة الزوجية

ينبغي للرجل أن يكون واقعيًّا في اختياره لزوجته فلا يذهب وراء الخيال والمثاليات في البحث عن الزوجة التي تسعده، فإن بعض الناس يشترط في الزوجة شروطاً كشروط المجتهد المطلق عند الأحناف، فيريد زوجةً في حسن يوسف وعفاف مريم وصوت داود وتكون على حد قول الأعشى:

غَرّاءُ فَرعاءُ مَصقولٌ عَوارِضُها
تَمشي الهُوَينا كَما يَمشي الوَجي الوَحِلُ

كَأَنَّ مِشيَتَها مِن بَيتِ جارَتِها
مَرُّ السَحابَةِ لا رَيثٌ وَلا عَجَلُ

أما وجهها وشعرها فعلى حد قول صديقي أبي الطيب:

كَشَفَت ثَلاثَ ذَوائِبٍ مِن شَعرِها
في لَيلَةٍ فَأَرَت لَيالِيَ أَربَعا

وَاستَقبَلَت قَمَرَ السَماءِ بِوَجهِها
فَأَرَتنِيَ القَمَرَينِ في وَقتٍ مَعا

وهذه الأوصاف لا تنطبق إلا على إحدى الحور العين في جنّات النعيم، بينما هو قد يكون أحمق من هبنّقة وأبخل من مادر وأغبى من باقل وأجبن من أبي حيّة النميري، وعلى المرأة أن تكون واقعية في اختيار الزوج ولا تهيم مع الخيال المجنّح في اختيار شريك حياتها، فبعضهن متشدِّدة موسوسة في شروطها التي يتصف بها الزوج، فتريده على حد قول أبي تمام:

إِقدامَ عَمروٍ في سَماحَةِ حاتِمٍ
في حِلمِ أَحنَفَ في ذَكاءِ إِياسِ

في زهد الحسن البصري وفِقْه أبي حنيفة وحفظ الأصمعي، بينما هي قد تكون آية في الغباء ومضرب المثل في ثقالة الدم وقمة في سوء الخُلُق، لماذا لا نعيش واقعنا ونرضى بما تيسَّر؟ وإذا حصل خلاف بين الزوجين فهناك وصفة سحرية اُكتشفت في الأخير على يد أحد خبراء علم التربية بعد بحث طويل وسهر مضنٍ وهي أن يجلس الزوجان بعد كل مشكلة جلسة مصارحة ومكاشفة تسمى جلسة (فضفضة) يشترط فيها ألا يشاهد الزوجان التلفزيون ولا يشتغلان بالقراءة ولا بالنظر إلى الحديقة وإنما ينصت كل واحد منهما للآخر فيبدأ أحدهما بالحديث حتى يخرج كل ما في جعبته وينصت الآخر ولا يقاطع، فإذا انتهى المتكلم قال المستمع: هذا كلام جميل وأنا موافق عليه وآسف على كل خطأ، ولا يحاول يعترض على أي كلمة سمعها أو يرد عليها، بعدها سوف تتحوّل الجلسة إلى مصالحة ومسامحة؛ لأن ٩٠٪ من مشكلات الزوجين صغيرة وتافهة أو (كلام فاضي) فهي عن تأخر الزوج عن البيت أو انشغال جواله أو كثرة ضيوفه أو عدم مدحه لطعامها أو لأنه لم ينظر للزوجة بإعجاب عند دخول البيت، أو أن الزوجة أخَّرت الطعام، أو لم ترتب الملابس أو نسيت المناشف أو أن الشاي بارد أو أن ملح الطعام زائد قليلاً.

وهذه المشكلات العالمية الكبرى تحتاج إلى جلسة طارئة فيها فضفضة ولا يتخذ فيها أي قرار إنما إنصات وحسن استماع وهزّ رأس بالموافقة وبعدها تعود الحياة أجمل ما تكون، أرجو ألا يكثر الزوجان من الجدل العقيم والمناقشات والحرص على الردود، فهذه لا تزيد النار إلا اشتعالاً، قيل لأحد الحُكَماء: كيف تعالج المشكلة مع زوجتك؟ قال: أنصت لها حتى تقول كل ما لديها، ثم أوافق على كلامها وأعترف بالتقصير والخطأ، فتبدأ هي تبحث لي عن أعذار، ولو ذهب الرجل يرد على زوجته ويغلّطها لرفعت صوتها وسبَّتْهُ ثم كذَّبها حينها تشتمه ثم يضربها فتقوم فتلطمه فيطلقها حالاً ويُهدم البيت، إذاً المشكلات الزوجية سهلة في الغالب بل تافهة إنما تحتاج إلى واقعية وفضفضة وسعة بال واعتراف بالخطأ وعدم الحرص دائماً على أن يثبت أحد الزوجين للآخر أنه على حق وسوف

تصلح الحال، ويُشرح البال، ويزول الإشكال، وينتهي القيل والقال، وعلى الرجل أن يستعمل المجاملة مع زوجته، فإذا نظر إليها وهي معبِّسة مقطِّبة أسمعها قول الشريف الرضي:

يا ظَبيَةَ البانِ تَرعى في خَمائِلِه
لِيَهنَكِ اليَومَ أَنَّ القَلبَ مَرعاكِ

وإذا ذكرت له امرأةً أخرى جاملها وهوَّن من شأن الأخرى وقال كما قال شاعر الزُّلَّفي ابن عويس:

الزّين ما ودَّك تحطَّه مع الشِّين
ودَّك تخلي كل شيٍّ لحالَهْ

وعليها أن تجامله فإذا رأتهُ نائماً وله شخير قالت:

يا ذيب يالّلي جرَّ صوت عوى بهْ
هو ذا هوى والاّ من الجوعْ ياذيبْ

وإذا كحَّ وتنحنح فعليها أن تقول:

باللهِ لَفظكَ هذا سالَ من عسلٍ
أَم قَد صَبَبتَ على أَفواهِنا عَسَلا

وعلى الزوج أن يمدح الشاي والمكسرات، ويثني على الصحون والملاعق وينظر بإعجاب إلى زوجته ويرفع يديه فيحمد الله على أن رزقه بها وهو يتمنّى في نفسه أن تموت في أقرب وقت، وعلى الزوجة أن تنظر بإعجاب إلى وجه زوجها العبوس القمطرير وتقول له قول أبي الطيب:

خَفِ اللهَ وَاستُرْ ذا الجَمالَ بِبُرقُعٍ
فَإِن لُحتَ ذابَت في الخُدورِ العَواتِقُ

وهو يبادلها النظر إلى وجهها المكفّهر ويقول:

تبدَّتْ لنا كالشمسِ تحتَ غمامةٍ

بدا حاجبٌ منها وضنَّتْ بحاجبِ

والمقصود استعمال الدبلوماسية والمجاملة (ومشّوا الأمور) وأصلاً الحياة قصيرة جدًّا.

obeikandl.com

الشيخ الشيطان وعلاج المرضى

قامت بعض القنوات الفضائية بالضحك على الذقون عبر تخصيص برامج عن السحر والشعوذة، فلعبت بذلك على عقول الحمقى، وتحول الموقف إلى مهزلة مضحكة ومسرحية عابثة، وتصدر هذه البرامج كل أفّاك أثيم وكل مفترٍ دجّال ممن أُصيب بمرض انفصام الشخصية أو الكبت القهري أو المرض النفسي، فصار يخبر المتصل بترّهات وسخافات؛ فيسأله عن مولده متى كان، ثم يجيبه بقوله: أنت من فصيلة برج الثور أو الحمل أو الأسد، وأنت تهوى كذا وكذا، ومصاب بكذا وكذا، ثم يصف له علاجاً يخالف الدِّين والعقل والطب؛ فيوصيه- مثلاً- بذبح ديك أسود- سوَّد الله وجهه- أو بسحق قرون الثوم ونشرها في غرفة النوم، أو بصيد حمامة بيضاء وذبحها وغمس ريشها بالدم، ثم يأمره بوضع الريش تحت رأسه إذا نام، ومنهم من يسأل عن اسم أم المريض؛ فإذا قال السائل مثلاً: اسم أمي فاطمة قال: أنت مصاب بعين المحبة، وعلاجك أن تغمس يديك في دم خروف أسود- سوَّد الله وجهه- ثم تمسح بها وجهك، وبعضهم عنده عملة نقدية يقلبها في أثناء الحلقة وفي أثناء اتصال المتصل يخبره بمرضه، وهذه القنوات جعلت مصدر دعمها اتصال الحمقى والسفهاء والمعتوهين؛ فبمجرد الاتصال يبدأ رصيد القناة المالي في الارتفاع، وقد سمعنا ورأينا مئات الاتصالات من هؤلاء المرضى، ولكننا لم نشاهد واحداً منهم تعافى وتشافى بهذه الوصفة المكذوبة، والعجب أن هذه القنوات المدمِّرة للدِّين والعقل والعرض والمروءة تنتشر في ربوع العالم الإسلامي جهاراً نهاراً، ولم تتخذ أي دولة تصرفاً حازماً أمام هذا الدَّجل وابتزاز أموال الناس والتلاعب بعقولهم والعبث بصحتهم وتدمير بيوتهم، وكأن أبا الطيب معنا يوم قال: **يا أُمَّةً ضَحِكَت مِن جَهلِها الأُمُم.**

أين الحكومات التي تراقب أنفاس الناس وتسجل عُطاسهم، وتصورهم وهم يتثاءبون؟ أين هذه الحكومات من عصابات الشعوذة والإفك والخرافة التي

حوَّلت بعض الشباب والفتيات إلى مجانين ومعتوهين؛ لأنهم صدقوا الوهم وآمنوا بالخرافة؛ فركبهم الشك، وتلبَّس بهم الوهم؛ فأصبحوا مرضى عاطلين عن العمل والإنتاج؟ ثم إن الأخطر من ذلك أنها تحول المؤمن إلى ملحد شرير، وقد حمى سيد الخلق ﷺ جناب التوحيد من هؤلاء الفجرة الأشرار بقوله: «**من أتى عرَّافاً أو كاهناً أو ساحراً فصدَّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**». أفٍّ لهذه العقول السخيفة التي باعت طاعة الله بطاعة الشيطان، تفٍّ على هذه القنوات الحقيرة التي خرَّبت البيوت ودمَّرت القيم، الخيبة والندامة لشياطين الإنس الذين تصدروا الشاشات ليقدِّموا الدَّجل والزور والبهتان للناس، حتى الرقية الشرعية الصحيحة أصبحت تمارس بطرق مضحكة غايةً في المهزلة ونهايةً في الغباء؛ فأحدهم وضع له قناة يرقي ويقرأ وينفث عبر الشاشة على المشاهدين الكرام من إندونيسيا إلى موريتانيا؛ لتنالهم بركة ريقه الطاهر المطهَّر عبر ذبذبات الأثير، وعلَّ لعابه المبارك ينقل لهم عبر الأقمار الصناعية، ولا يستحيي أن يخبرنا بأن الله شافٍ بريقه -عبر الشاشة- الملايين، وقد كذب وافترى، بل هو في حاجة ماسة إلى من يبرك على صدره، ويقرأ عليه آية الكرسي، ثم يودعه المارستان، ومثل هذا يجب أن يُحجر عليه؛ لئلا ينقل عدواه وهِباله إلى الأمة.

مخجل ما تعرضه قنوات السحر والشعوذة، مؤسف ما نراه من هذه العصابات المشبوهة والوجوه الكالحة. أيها الحكام، أيها العلماء، أيها العقلاء، أوقِفوا هذا الخزي، تصدوا لهذه الظاهرة البشعة القبيحة، أنقذوا عقول الشعوب ودينهم وأموالهم، أحيلوا القائمين على هذه القنوات والكهان والسحرة والمشعوذين إلى العدالة، قدِّموهم إلى القضاء، أنصفوا الناس الذين ذهب إيمانهم وأموالهم وعقولهم، كفى شماتة بنا، وكفى ضحكاً على ذقوننا، الشرق والغرب تزخر مصانعهم وتعج معاملهم بالإبداع والإنتاج، وعندنا القنوات الوثنية الخرافية تعيدنا إلى مغارات سحرة بابل وكهوف شعوذة قدماء الهند، وعهود اللّات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى، الغرب يشاهد روّاد فضائه عبر الشاشات يهبطون على

المريـخ، وبعضنا يشاهـد الشيخ الشيطان عـبر الشاشة يكذب علـى الله وعلى الأمة وعلـى التاريـخ: ﴿لَّعَنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، ولعـن الله المشعوذين والأفَّاكين والدَّجالين، أفٍّ وتفٍّ على سماحة الشيخ الشيطان المشعوذ المشرك: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٍ﴾.

obeikandl.com

لا تقتلوا الطفولة

من حق الطفل أن يضحك وأن يمزح وأن يلعب وهو حق طبيعي اتفق عليه العقلاء وأتت الشريعة بتأييده، ففي الحديث: «**مروا أبناءكم بالصلاة لسبع**»، فبعد السبع ابدأ التعليم والأمر والنهي، قال سفيان الثوري: لاعب ابنك سبعاً وأدِّبه سبعاً وصاحبه سبعاً ثم اتركه للتجارب، فينبغي لنا أن نترك أطفالنا يستمتعون ببراءة الطفولة وفي القرآن حكاية عن أبناء يعقوب قولهم لأبيهم: ﴿ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ ﴾ ثم قالوا: ﴿ إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ ﴾. أرجوك أن تترك طفلك يمزح ويلعب ويضحك ويسابق ويعيش كما يعيش العصفور تماماً ولا تثقل عليه بحفظ المتون، وقراءة مقدمة ابن خلدون، ومعارضة قصيدة ابن زيدون، وشرح حاشية ابن القاسم على موطأ مالك، فقد وجدتُ آباءً بدؤوا يحفِّظون أطفالهم المتون في الثالثة والرابعة من أعمارهم فعاش الطفل في همٍّ وغمٍّ ونكد، فإذا ضحك الطفل صاح به أبوه: انتبه يا ولد، وإذا تبسّم قال له: «وش» هذا؟ وإذا لعب قال له نسيت الآية: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ﴾ وإذا سأل أباه أن يشتري له لعبة انتهره قائلاً:

وَيَنشَأُ ناشِئُ الفِتيانِ مِنّا
عَلى ما كانَ عَوَّدَهُ أَبوهُ

فإذا استأذنه أن يلعب مع الأطفال أنكر عليه، وقال: أين أنت من قول الأول:

إِذا بَلَغَ الفِطامَ لَنا وَليدٌ
تَخِرُّ لَهُ الجَبابِرُ ساجِدينا

بعض الآباء عذاب واصب وعقوبة من الله على أطفاله، تجدهم يمزحون ويمرحون فإذا دخل عليهم البيت سكتوا وصاحوا: جاء الوالد جاء الوالد، فدخل عليهم كالموت: ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ﴾. لا تقتلوا البسمة في شفاه الأطفال.

كان سيد البشرية ﷺ رحيماً بالأطفال يمازحهم، يضاحكهم، يحملهم، كان الحسن والحسين يصعدان على ظهره وهو ساجد وكان يحمل الطفلة أمامة بنت ابنته زينب وهو يصلي بالناس، كان يأخذ الحسن والحسين في حضنه ويقبِّل هذا مرّة وهذا مرّة ويقول: «**هما ريحانتايا من الدنيا**»، فيقول له رجل: عندي عشرة أبناء ما قبَّلتُ واحداً منهم، فيقول له الرسول ﷺ: «**وهل أملك أن نزع الله الرحمة من قلبك**».

إن الطفل في حاجة إلى متعة ذهنية ورياضة جسمية تجعله مستعداً للحياة القادمة حياة العمل والإنتاج، فلماذا نستعجل الأيام ونحرمه حقّه الطبيعي في اللعب والمزاح والبهجة؟ أتحرم البلبل من النشيد في البستان؟ أتمنع العصفور من التَّمرغ على بساط الروض؟ أتسكِّت العندليب أن يتغنّى بآيات الحب على غصون الزيتون؟ إن الإعاقة الفكرية قد يكون سببها أب ظالم شرس يجلس مع أطفاله كأنه الحجاج بن يوسف فيقمع في نفوسهم البسمة ويكبت في أرواحهم الفرحة، فيكبرون وفي قلوبهم مرض القهر النفسي والكبت الأسري فيبقى الواحد منهم غير سويّ، تشاهد على وجهه سحابة سوداء من الكآبة والحزن الدفين من آثار الطفولة البائسة المحرومة، إن بعض الآباء أسد هصور على أطفاله ولكنه نعجة في مواقف الحق، إذا لم يصل أطفالك لدرجة الفرحة الغامرة والاستقبال الحار بقدومك بحيث إنهم يتسابقون إلى فتح الباب إذا أقبلت فراجع تربيتك لهم وتحول أنت طفلاً وديعاً بينهم فتنزَّل إلى مستواهم في الحديث، أسرد عليهم نكاتاً وداعبهم بلطائف وشاركهم لعبهم وسباحتهم وقفزهم، ولا يعني ملاطفة الأطفال ومداعبتهم وتركهم يلعبون إهمال الأدب، بل سوف تغرس في قلوبهم الفضيلة بلطفك بهم فتهذِّبهم برفق وتربيهم بعفويّة دون أوامر عسكريّة، إن الطفل لا يعرف إلا أباه فهو يراه أشجع من عنترة وأكرم من حاتم وأحلم من الأحنف.

فمن أراد أن ينشأ ابنه صادقاً كريماً حليماً فليكن هو صادقاً كريماً حليماً، فلنجعل الحب مكان السوط والرفق محل العنف واللطف مكان الكبت حينها نسعد

بأبنـاء أسوياء يحملون رسالتهـم في الحياة بجدارة ويصلـون إلى كرسي الريادة باقتـدار، وإذا لم يلعـب الطفل ويضحك في السنـوات السبع الأول من حياته فمتى يضحك؟ هل يضحك يوم تقبل عليه الحياة بمتاعبها وهمومها وأحزانها يوم يحمل مسؤولية البيت والوظيفة والرزق والحقوق الاجتماعية والواجبات الشرعية وعقوق الناس وتنكر الأصدقاء وركلات الأعداء؟ حينها يصرخ القلب المفجوع بحنين:

ألا لَـيـتَ الـشَـبـابَ يَـعـودُ يَـومـاً
فَـأُخـبِـرُهُ بِمـا فَـعَـلَ المَشـيـبُ

الإنسان المفترس..!!

سمعتم عن الحيوان المفترس ولكنني سوف أخبركم اليوم عن الإنسان المفترس وهو الإنسان العدواني الذي لا يعيش إلا على الكراهية والخلاف والشقاق، ولا يهدأ حتى يكون له كل يوم ضحيَّة، فهو إما يعادي زوجته أو ابنه أو صديقه أو جاره، فتجد المشكلات تحل وترتحل معه، وهو دائماً يشكو من ظلم الناس له وتآمرهم عليه وعدم معرفتهم بمكانته، وفي الحقيقة أنه هو الظالم ولكنه أصبح كما قال أبو الطيب:

وَمـا انـتِـفـاعُ أَخـي الـدُّنـيـا بِـنـاظِـرِه
إِذا اسـتَـوَت عِـنـدَهُ الأَنـوارُ وَالـظُّـلَـمُ

وهذا الإنسان المفترس يختلق كل يوم أزمة، فهو يشاكس مدير المدرسة بسبب أنه ظلم ابنه، ويخاصم القاضي؛ لأنه جار عليه في الحكم، ويعادي الشيخ؛ لأنه أخطأ في فهم سؤاله، ويكره الطبيب؛ لأنه خدعه في الدواء، وناقم على إمام المسجد؛ لأنه يتعمَّد إطالة الصلاة، وهذا الإنسان المفترس يتحاماه الناس ويدارونه كما يداري أهل المجنون مجنونهم ومع ذلك لا يسلمون من بطشه وغضبه وسبِّه وشتْمه، وهو دائماً متهيئ للمنازلة، ففي سيارته هِراوة لوقت اللزوم، وفي بيته مسدس للطوارئ، وهو يحفظ أخطاء الناس ويتصيَّد مثالبهم ويكشف معايبهم لوقت الحاجة حتى إذا اختلف معهم فإذا هو قد أعدَّ للأمر عدَّته وجهَّز لهم ملف العيوب؛ ليوقعهم في شرِّ أعمالهم، وهو أبداً غاضب على الجو في الصيف؛ لشدة الحرارة، فينظر إلى الشمس ساخطاً ناقماً، وهو غاضب على الشتاء القارص بسبب الريح الباردة كلما هبَّت، وهو يلعن الظلام، ويشتم الغبار، ويغتاب الرطوبة، وهو لكثرة غضبه وحقده وحسده مصاب بالضغط والسكري والربو، وحمَّى الوادي المتصدع وجنون البقر، في جيبه بخّاخ ودواء ومسكِّنات ومهدئات وفيتامينات، وقد ذكر صاحب كتاب (المستطرف) أنَّ رجلاً حاداً غضوباً شرساً دخل على زوجاته الأربع وهن

مجتمعات، فقالت الأولى له: ما الذي أخَّرك عنّا ونحن ننتظرك؟ فقال لها: وأنت رقيبة عليَّ، أنت طالق، قالت الثانية: تطلقها وما صدر منها شيء؟! فقال: وأنت طالق معها، فقالت الثالثة: استعجلت هداك الله، فقال: وأنت طالق أيضاً، فقالت الرابعة: سبحان الله تطلق ثلاث نساء في مجلس واحد؟ فقال: وأنت طالق معهم، فقالت امرأة جاره: أعوذ بالله من الشيطان ما رأيت أفظ ولا أغلظ منك، فقال: وأنت طالق إذا رضي زوجك، فجاء زوجها وقال: رضيت.

وقالوا: إن رجلاً عصبي المزاج غليظ الطبع سيئ الخُلُق أتى إلى الخيّاط بقماش في يده وقال له: فصِّل هذا القماش أربعة ثياب ولا تلعب في التفصيل وأحذِّرك من التأخير في الموعد، ولا تضيّع مقاسات الثياب، وانتبه لا تماطل في الموعد حسبي الله عليك وأعوذ بالله منك والشرهة ليست عليك، الشرهة على الذي جاء يفصِّل عندك، أقول: اترك القماش الله ينتقم منك، ثم أخذ قماشه وأدبر يسب ويشتم، وهذه طبيعة الإنسان المفترس فالأمور في البيت قبل أن يصل هادئة وإذا جاء حوَّل البيت إلى خصومة وشقاق، والمجلس تجده قبل أن يحضر في أمن وسلام فإذا أطلَّ عليه حوَّله إلى شجار وخصام، وهذه النوعية لا تعيش إلا على الأزمات ولا ترتاح إلا مع الخلاف مثل الذباب لا يقع إلى على الجرح، أيها الإنسان: ارفع راية السلام وتذكر أن دينك الإسلام جعل تحية اللقاء: السلام عليكم، فهل تدبَّرت هذه الجملة العظيمة التي معناها إلقاء سلاح العداوة وإعطاء الناس العهد والأمان من كل أذى وشر، وهي عنوان لكتاب الأخوة ودفتر الصداقة ومن مقاصدها لا حرب بعد اليوم ولا خصام من الآن ولا تنافر ولا تباغض وفي الحديث: «**المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده**»، هيا أيها الإنسان، نتحوَّل إلى إخوة أصفياء، وإلى أصدقاء أوفياء وقد قلت في قصيدة (أنشودة الطفولة):

فيا أيها الإنسان هاكَ صداقةً

أبَرَ من الأم الرؤوم وأحدبا

تعالَ نوفٌ الوصلَ عهداً مباركاً
وخذني أخاً إذ كان آدمُ لي أبا

إذا كنت قابيلَ العداوة والرّدى
فإنِّي أنا هابيل رأياً ومذهبا

obeikandl.com

ضحايا الوهم

لا شك أن الحسد حقيقة لا مناص منها وقد أثبته القرآن والسنة ويدخل فيه العين، والعين حق، لكن المشكلة أن بعضهم تلبّس به الوهم فأصبح يظن أنه مصاب بالعين في كل شيء فكلما أخفق حوّل هذا الإخفاق مع التحية للعين والحسد، وإذا فشل في عمله فلأنه مصاب بالعين من حسّاده، وإذا رسب في دراسته فالسبب شياطين الإنس، فهو عند نفسه عبقري لكن أعداءه منعوه من النجاح، وهذا الصنف من الناس قد ضحك عليهم الشيطان، وهم يعيشون وهماً لا حقيقة له فأذكياء العالم من المسلمين وغيرهم بلغوا النجومية ولم يعيشوا هذا الوهم، فالشافعي وابن تيمية وابن خلدون وابن رشد وسقراط وإينشتاين وإسحاق نيوتن أجبروا التاريخ على أن يخلّد أسماءهم ولم يشتكوا من الحسد والعين، ولكن المرضى بوهم الحسد هم أشبه بما قال غوته: (إن الدجاجة حينما تقول قيط.. قيط وتريد أن تبيض تظن أنها سوف تبيض قمراً سيّاراً)، ورأيتُ الناجحين في مجتمعنا واثقين من أنفسهم قد شقّوا طريقهم إلى المجد بثبات في التخصصات كافة، ولكن الأغبياء والحمقى بقوا في آخر الصف بحجة أن الحسد والعين أصابهم ولم يصب غيرهم من اللامعين.

قابلتُ طالباً رسب في الجامعة مرات عدة فسألته: ما السبب؟ قال: محسود أصابتني العين، فقلت له: إخوانك الأربعة نجحوا بتقدير «ممتاز» وكانوا الأوائل وأنت الوحيد المحسود الراسب، لكن السرَّ أنك تركت المذاكرة وتغيّبت عن الجامعة ونمت في الفصل وضيّعت الكتب، وبعض النساء رزقها الله ٣٪ من الجمال وتغطي وجهها عند أمها وأخواتها؛ خوفاً من العين، الله أكبر يا فتاة الغلاف، وبعضهن حامل في الشهر العاشر وقد أخفت ذلك عن جدتها؛ خوفاً من العين وكأنها سوف تلد خالد بن الوليد أو صلاح الدين، والحقيقة أن الشيطان قد لعب على الكثير منّا خاصة الأغبياء والحمقى، أما الأذكياء والعباقرة فقد لعبوا هم على الشيطان

وانتصـروا عليـه ونجحـوا؛ لأنهـم لم يصدقوا الأوهـام، ورجائي أن يخـرج هؤلاء الموسوسون والموسوسات من زنزانة الوهم ويمارسوا أعمالهم على سجيّتهم ويريحوا الأمـة مـن نشر أمراضهم النفسيـة المعتمدة على الوهم، وكلما رأيـتُ بليداً فاشلاً وسألتـه: ما سبب هذا الإحبـاط؟ أجابني بأنه مصاب بالعـين! فأقول له: من هذا الغبـي الأحمق الذي أصابـك بالعين؟! وما الذي أعجبه فيك؟! كيف ترك الموهوبين واللامعـين يشقّون طريقهم إلى الجوزاء وقصدك أنـت؟! وإذا تساقط شعر امرأة بمرضـ حمّى الوادي المتصدع ادعت أن العين ألمّـت بها والحسد دمّرها وقد سلّم الله شَعر رأس بوران بنت الحسن بن سهل أجمل امرأة في الدولة العباسية.

وبعض الطالبات انزوت عن زميلاتها بحجة الخوف من العين، وإذا لم يستطع طالب حفْظ القرآن؛ لإصابته بمرض جنون البقر!! زعم أن حارس المدرسة أصابه بالعين، وكيف توحّدت بنا العين ونحن أهل الإيمان والقرآن ولم تصب العين أعضاء وكالـة (ناسا) الذين أنزلوا مركبة الفضاء هنـدرد (٦٦) على سطح المريخ؟ إننا باختصار (ضحايا الوهم).

فأريحونـا من هـذا الوهم وتوبوا من هـذه الوسوسة واهجـروا هذه الظنون: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾.

صرخة فتاة

اشتكت فتاة وتظلَّمت ولم تجد سامعاً ولا مجيباً من الناس، ظلمها زوجها ثم طلَّقها وأخذ أبناءها الثلاثة وأحرمها رؤيتهم، ومنعها من النفقة، فذهبت لأهلها شاكية باكية متفجعة، فوجدت أباها ضعيفاً عاجزاً أمام إخوانها الفجرة الجبابرة الذين صبوا جام غضبهم على أختهم المسكينة الحسيرة الكسيرة المطلقة، وأرادت أن تذهب للقاضي فأقسم أحد إخوانها لئن ذهبت للقضاء ليجرنَّها بشعر رأسها، فبقيت حائرة مظلومة حزينة لا يجف لها دمع، ولا تكتحل عيناها بنوم، ولا يسكن خفقان قلبها، أما نهارها فسبٌّ من أهلها وشماتة وسخرية، وأما ليلها فبكاء وعويل على أطفالها ومستقبلها، وأنين من جور زوجها وضعف أبيها وظلم إخوانها، فلا هي حيّة فتُرجى ولا هي ميتة فتُنعى، محبوسة في البيت تصارع الهموم وتقاتل الأحزان، وتبعث الآهات الحارة كأنها حمم البركان، وتتنهّد بالزفرات الملتهبة كأنها شهب نار، ما تدري ماذا تفعل، اتصلت ببعض العلماء فقالوا: اصبري واحتسبي، فصبرت واحتسبت ولكن صبرها انتهى واحتسابها نفد، وقد طوَّقها اليأس، وأحاط بها الكرب، كلّمت بعض قرابتها فقالوا: اذهبي للقضاء، فأخبرتهم أنها لو ذهبت للقضاء لعذّبها إخوانها عذاباً شديداً، فأصبحت لا يسمح لها أن تشتكي أو تبكي.

فما هو الحل أمام زوج ظالم، وأبٍ مسكين، وإخوة عاقين، ومجتمع قاسٍ، أليس من الأجمل أن يقوم أهل الحل والعقد بمتابعة هذه القضايا وإخبار الناس بعناوين يمكن الاتصال بها لرفع هذه الضائقة وكشف هذه الملمة وتقديم هؤلاء الجناة العتاة الجفاة للعدالة، وفي الحديث الصحيح أن امرأة دخلت النار في هرة حبستها حتى ماتت لا هي أطعمتها ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض، فكيف بمن حبس امرأة وظلمها وأحرمها أطفالها ومنعها من نفقتها بل منعها من الشكوى والتظلم، وبمثل هذه الأفعال يجف القطر من السماء، وتُؤدب الأمة بسياط من البلاء وبنكبات خفية ومعلنة: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ اسمعوا صرخات المظلومين،

وافتحوا قلوبكم لأنين المضطهدين، وساعدوا في رفع السوط عن المعذَّبين، إن مسح دمعة على خدٍّ مظلوم أفضل من ألف محاضرة في الثقافة البالية التي أصابت الأمة بالدِواخ والغثيان، وإن إشباع بطن جائع أفضل من مؤتمر للفكر العقيم، ومن أراد أن يتصوَّر المشكلة فليجعل أمه أو أخته أو بنته في هذا الموقف، ألا قلوب ترحم؟ ألا ضمائر تستيقظ؟ ألا أكباد تخفق؟ ألا عيون تدمع؟

في حديث قدسي يقول الله للظلمة العتاة: «**وعزتي وجلالي لولا شيوخ ركَّع، وأطفال رضَّع، وبهائم رُتَّع، لخسفت بكم الأرض خسفاً**»، وتبدأ معاناة بعض النساء مع أبٍ غشوم ظلوم أو أخ قاطع جبّار أو زوج فاجر شرِّير، وقد تعيش المعاناة بسبب مالها أو راتبها وهي تُساوم عليه وقد تُحرم الزواج بسببه، وقد عرفنا من رفض زواج ابنته؛ ليستولي على راتبها، وعرفنا من نكَّل بها زوجها؛ ليحصل على مالها وأصبح يخيِّرها بين البقاء مع الدفع أو الفراق إن أبت ذلك، ومنهم من أمسك زوجته لا مطلقة ولا معلّقة؛ ليجرعها الغصص وهي مضطرة للقبول بهذا الوضع المأساوي مراعاةً لأبنائها أو حاجتها أو وضعها الاجتماعي.

أيها المتقلِّبون على جمر الظلم، فصبر جميل، ودعوة في سحر، وانتظار لفرج، وتذكر لبقية نِعَم، ويا أيها الناس، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الراحمون يرحمهم الرحمن، ويل للظلمة من يوم لا حاكم فيه إلا الله يوم تُقام محكمة العدل الإلهية يوم العرض الأكبر، فانتظروا إنا منتظرون.

وجّه الدّربيل إلى نفسك

في قلب كل إنسان منا دربيل اسمه البصيرة، قال تعالى: ﴿ بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴾ وهذا الدربيل إن أراد الله بك خيراً وجهته لنفسك، فاكتشفت به عيوبك، فأصلحتها وقوّمتها على الحق، وإن أراد الله بالإنسان خذلاناً سلّط هذا الدربيل على الآخرين، وأهمل نفسه، فتجده ينقب عن عيوب الناس، ويبحث عن زلّاتهم، ويجمع أغلاطهم، فهو كالذباب لا يقع إلا على الجرح كما في الأثر: «**يبصر أحدكم القذى في عين أخيه، ولا يرى الجذع في عينه**». هل فرغنا من عيوبنا الكثيرة حتى نتفرّغ لعيوب الناس؟ هل بقي لدينا وقت نشغله بتتبع أخطاء البشر؟ إن توجيه مصباح الله في القلب إلى نفسك نعمة كبيرة من نعم الله، معنى ذلك أنك اكتشفت عيوبك، وعرفت مواطن الخلل في نفسك. وفي الأثر: «**طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس**». ولكن المشكلة يوم تحمل هذا الدربيل لتضعه على أسرار عباد الله، فتفحص بعناية كل زلّة وكل خطيئة، ومن يفعل ذلك يُسمى سبّاباً عيّاباً، ليتنا نوجّه دربيلنا إلى ذواتنا، ونترك الناس لرب الناس. اتركوا الخلق للخالق، ودعوا العبيد للمعبود. ليس مطلوباً منّا مراقبة البشر فيما أضمروه وأسروه من أخطاء، ولسنا نحن الذين نحاسبهم، يقول الرسول ﷺ: «**إني لم أومر أن أنَقُبَ عن قلوب الناس ولا أشُقَّ بُطونَهم**». وهذه الجملة النبوية دستور مهذّب في التعامل مع الناس، ولو عمل بها المسلمون لما رأيت من تفرغ ليحصي على الناس زلّاتهم، ويؤلّف في مناقبهم، ويجمع عثراتهم. واحسرتاه على من يحمل الذنوب، ويتلبس بالعيوب، ثم لا يعنيه ذلك، إنما شغله الشاغل بعيوب الناس وذنوب البشر.

قيل لحكيم: أما رأيت فلاناً يصنع كذا وكذا من الذنوب؟ قال: ما تبت أنا من ذنوبي. واغتاب أحد الناس رجلاً في مجلس العالم الزاهد الربيع بن خثيم فقال له: تذكّر سكرات الموت. أيها الباحثون عن زلّات الخليقة، عدتم بالفشل، ورجعتم بالخيبة. أيها المكتشفون أخطاء الناس، حققتم الإفلاس، وأدركتم سوء العاقبة.

كان الواجب علينا لو رأينا عيباً في الآخرين أن نغض الطرف، ونتغابى أو ننصح، كما قال أبو تمام:

لَيسَ الغَبِيُّ بِسَيِّدٍ في قَومِه
لَكِنَّ سَيِّدَ قَومِهِ المُتَغابي

إن الإنسان الحقير يعشق تصيّد الزّلات ويفرح بعيوب الناس؛ لأنه رديء كما قال الشاعر الشعبي:

ما يستشك يا حسينْ كود الرديّينْ
والا ترى الطيّبْ وسيعٍ بطانَهْ

يقول أحمد بن حنبل: التغافل تسعة أعشار حسن الخُلُق. قلت: لو سلكنا منهج التغافل مع الزوجة والابن والصّديق والناس لعشنا الحياة السعيدة، فكيف إذا استعملنا قدراتنا العقلية من الذكاء والدهاء والألمعية في تشخيص أخطاء البشر، وعشنا مع أخطائنا بغباء وبلاهة؟ يقول ديل كارنيجي: عندي ملف في درج مكتبي عنوانه (حماقات ارتكبتها) أسجل فيه أخطائي؛ لأتلافاها مع الزمن. وقال سفيان: لي ثلاثون سنة أجاهد نفسي في ترك عيب، ومازلتُ أجاهد. فيا أيها الإنسان، اجعل معك قائمة سوداء من عيوبك تراجعها بينك وبين نفسك، أما الناس فأطمئنك أنك لن تدخل معهم قبورهم لتحاسبهم، ولن تكلّف بمناقشتهم على أخطائهم يوم القيامة، بل أؤكد لك جازماً أنك سوف تحاسب على اغتيابك لهم وكشف أسرارهم. إن الذي بيته من زجاج لا يحقُّ له أن يرمي بيوت الآخرين بالحجارة، كفى اشتغالاً بالآخرين على حساب أنفسنا. والشكر لأبي معاذ الرازي على قوله:

وغير تقيٍّ يأمر الناسَ بالتقى
طبيبٌ يداوي الناسَ وهو عليلُ

إن النّجـار الذي ذهب يصلح أبواب الناس وبابـه مكسّر أحمق، وإن الخياط الـذي يخيط للآخرين وثوبه ممزّق أبله، والذي سلّط دربيله على تضاريس العباد وترك الحفر والمطبات في نفسه غبيّ مخذول.

obeikandl.com

كن هابيل ولا تكن قابيل

مـن أراد أن يعيش سعيداً وأن يموت حميـداً فليلقِ سلاح العداوة وليجتث من نفســه شجرة الشَّر، ارفع رايتك البيضاء معلناً العفو والصفح وسوف تجد القلوب تشيِّعك، والأرواح تحفُّ بك، والحب يحوطك أينما حللت وارتحلت:

مَـنْ سـالَمَ النّـاسَ يسلَمْ من غوائلِهمْ
ونـام وَهْـوَ قَـريـرُ الـعَـينِ جَـذْلانُ

كن من فصيلة هابيل حينما أقدم على قتله أخوه قابيل، فقال: ﴿ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾، دع الظـالم يلقى حتفه أو يسلط الله عليه أظلم منه، واتركه للأيام والليالي، يقول المثل الصيني: «اترك عدوك وقف على شاطئ النهر فسوف تشاهد جثته تمر بك»، لا تحـاول فتح ملفات العداوات، لا تقم للناس محاكم تفتيش في صدرك، لا تُذهب حياتـك الغالية في التربص بالآخرين والاقتصاص منهـم، كل دقيقة تصرفها في عـداوة إنمـا هي كأس من السم تتحساه، سوف تجـد أن الحلم والعفو أقوى سلاح أمـام أعدائـك، قال الأحنف بن قيـس: والله لقد نصـرني الله بالحلم أعظم من نصر العشيرة، يقول أبو الطيب:

وَأَحـلُـمُ عَـن خِـلّـي وَأَعـلَـمُ أَنَّـهُ
مَـتى أَجـزِهِ حِلماً عَلى الجَهلِ يَـندَمِ

إذا سـلَّ أخـوك في وجهك سفياً فمدّ لـه وردة، إذا بات يخطـط لاستئصالك فتوجه أنت بالدعاء له أن يصلح الله قلبه ويطهر ضميره، وإذا نالك خصم في مجلس بـكلام بذيء سافل فأثنِ عليه وادعُ له، إن منطق القرآن يخبرك أن العَظَمَة هي أن تحول العدو إلى صديق لا أن تحول الصديق إلى عدو: ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴾ قال رجل لحكيم: غداً نتحاسب، فقال

له: بل غداً نتسامح، فلا تستكثر ألف صديق ولا تستقل عدوًّا واحداً ولو كان ضعيفاً، فإن البعوضة تدمي مقلة الأسد، وإن فأراً صغيراً خرَّب سد مأرب.

إن أعمارنا أقصر من أن نصرفها في القصاص والانتقام وإن معارك داحس والغبراء التي يقيمها الشيطان في قلوب البعض هي من مقررات مدرسة إبليس التي من أصولها: الظالم مهيب والمعتدي شجاع والحليم ذليل والمتسامح جبان، ولكن مدرسة الوحي تخبرنا بأصدق من ذلك: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾، وفي الحديث: «**صل من قطعك وأعطِ من حرمك واعفُ عمن ظلمك**». إذا لقيت أحداً من الناس فابدأ بتصرفين جميلين: ببسمة وسلام، فالبسمة عنوان لكتابك وهي دلالة على رجاحة العقل وسلامة الطبع وكرم المعشر، والسلام عليكم ميثاق شرف وعهد وفاء معناه مصالحة لا حرب، ومسامحة لا عداوة.

هل سمعت أن غضوباً شرساً حادًّا كسب حبًّا أو بنى صداقة أو حاز ثناءً جميلاً، إنما الحب الصادق والحفاوة البالغة والإجلال الكبير للسمح الحليم والجواد الكريم الذي جلس بحبه على عرش القلوب، فحفَّت به الأرواح وشيَّعته النفوس، وطوَّقته العيون، من أراد أن يكتب تاريخاً لنفسه من البر والإحسان فعليه بمسالمة الناس ومسامحة الآخرين وكظم الغيظ والتجافي عن الزلة والصفح الجميل عن الخطأ ودفن المعايب، فعليك أيها الإنسان السوي، أن تنزع الغدد السامة من نفسك، وأن تضع السلاح من يدك وأن تغمد سيف العدوان ونادِ في الجميع:

أهلاً وسهلاً والسلام عليكمو
وتحيةً منَّا نزفُّ إليكمو

العالم سوف يكون جميلاً بلا عداوة والكون سوف يصبح أماناً بلا كراهية، والأشرار وحدهم هم الذي عكَّروا صفو الحياة، ودمَّروا بناء الإخاء، ومزَّقوا ثوب المحبة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾، ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾ ويلٌ لكل حاقدٍ شرير من سوء الذكر وضيق الصدر وظلمة القبر، وبشرى لكل كريم مفضال ولكل ليّن

سهـلٍ رفيق، إن الرجل الفاضل يكتب تاريخه بنفسه لجميل سيرته وحسن تعامله، فـلا ينتظر شكراً من أحد، وسـوف يكون بعد موته قصة جميلة يتحدث بها الرواة في المجالس وتُنقل أخباره الجميلة على ألسنة البشر، إن ألسنة الخلق أقلام الحق، فاحذر أن تذكرك هذه الألسن بسوء أو توقّع عليك هذه الأقلام بقبيح.

obeikandl.com

دعوة لتطبيع العلاقات

أدعـو الأمة إلى تطبيـع العلاقة مع كل أحد إلا مع الشيطـان وإسرائيل، نحن في حاجـة إلى تطبيع العلاقة بـين الحاكم والمحكوم والرئيـس والمرؤوس والأستاذ والطالـب والأب والابـن والـزوج والزوجة، نحن نفتقـر إلى مصالحـة اجتماعية وميثـاق شرف أخوي يكون أصلاً للتفاهم فيما بيننا؛ لأن في الأمة صراعات فكرية وحزبية ومذهبية وقبلية وجهوية حدثت يوم نسيت الأمة رسالتها الربانية العالمية، رسالـة الإيمان، فالحكام يوجهـون اللوم للشعوب في الخروج علـى الطاعة وإثارة الفـتن والشغب، والشعوب ترى أن الحكام أهـل استبداد وقتل للحريات ومصادرة للحقـوق، والمتدينون طوائـف كل طائفة ترد علـى الأخرى وتجمـع مثالبها وتذكر معايبهـا، والمثقفـون يتراشقون بالتهم بـين إسلامي وليـبرالي وعلماني وحداثي، والعـوام مشغولون بمدح القبيلة وذكـر مآثرها ومناقبها وأمجادها التي ما صنعت طبشـورة، وبعض الرجال يـرون أن المرأة أخذت أكثر مـن حقوقها وتعدّت طورها وأجحفت بحق الرجل، وبعض النساء يصرخن من ظلم الرجل وقهره وجفائه وقلّة وفائه، والأستاذ يرى في الطالب قلّة الأدب وعدم المبالاة مع الإهمال، والطالب يرى في الأستـاذ الشراسة وضحالة المادة وقلّة الأمانة، فأصبح المجتمع يتراشق بالتهم والـردود، ومـن يقرأ صحفنا يجـد مئات الأعمـدة كلها ردود وانتقـام وقصاص، وبيانـات متضاربة، كل يكذّب الآخـر ويتهمه ويستعدي عليه مـرة السلطة وأخرى المجتمع فإن لم ينفع دعا عليه فإن لم يجدِ توعّده بنار جهنم وسوء المصير.

يا دعاة التطبيع مع القتلة من أحفاد بن جوريون وطلاب موشى دايان والأفاقين وشـذّاذ العالم دعونا من هذا التطبيع القبيح، وتعالوا إلى التطبيع الجميل الراقي بين أبناء الأمة الواحدة، تعالوا نتسامح ونتصافح ونتناصح ويعفو بعضنا عن بعض ونتمثل قول الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾.

أوقفوا بيانات التشنيع والتجريح، أغلقوا محاكم التفتيش عبر الصحف ومواقع الإنترنت، أغمدوا الألسنة الطويلة البذيئة عبر القنوات والمنابر الإعلامية، تعلموا من أدب الوحي، يقول تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾. توبوا من الهمز والغمز واللمز؛ لأن هذا شأن الخسيس الذليل التافه الحقير الساقط الأرعن الجبان: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴾ نريد من العقلاء والعلماء والأسوياء أن يسمعونا كلمة طيبة وجملة مفيدة وعبارة حلوة مشرفة، يقول ﷺ: «**الكلمة الطيبة صدقة**»، قبل ما تتهمني حاورني، وقبل ما تحاكمني اسمع مني، وقبل ما تفضحني انصحني، وقبل ما تشنقني امنحني فرصة لأُدافع عن نفسي، لقد أمطرنا صباح مساء بدعاة التطبيع مع إسرائيل لكنه في المقابل يستحلّون السخرية بإخوتهم والتهكم برسالتهم والاستهزاء بأمتهم، حتى صدق عليهم قول الشاعر: (**أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامة**) نحن في أمس الحاجة إلى سلم اجتماعي ومصالحة وطنية شاملة تبدأ من رأس الهرم إلى الرجل البسيط، بيننا فجوة اجتماعية، عندنا قسوة في التعامل مع من خالفنا، فبعض أهل العلم إذا أراد أن يرد على عالم خالفه شنّع عليه وشهّر به واستعدى عليه الناس، فتجد عبارات: فاسق، زنديق، كافر، ضال، مبتدع، وبعض المفكرين يثير قاموس الشتائم على من اعترض عليه، فهو يصف خصومه من الدعاة بمتزمّت ومتطرف وخارجي وإرهابي ومتعصب، وبعض الفئات حجزت لأنفسها مقاعد في الجنة وأغلقت أبواب الجنة الثمانية عن الآخرين والويل لمن يطمع في الجنة بعد هذا.

بعد أن كنّا خير أمة أُخرجت للناس صرنا نتقاتل ونتهاجى ونتطاحن فيما بيننا، فالعراقي يقتل العراقي، والفلسطيني يذبح الفلسطيني، والصومالي ينحر الصومالي، والأفغاني يمزّق الأفغاني، ومن نجا من القتل ما سَلِمَ من السّب والتّخوين والسخرية، إذاً فنحن أحوج ما نكون إلى مد جسور الإخاء وتطبيع العلاقة ونزع فتيل العداوة واجتثاث شجرة الشّر ونبذ الكراهية.

ابتســـــم

كــلُّ مَـــنْ لاقــيــتُ يشـكـو دهـــرَه

لـيـتَ شـعـري هــذه الـدنـيـا لمـن؟

هـذه الـدار مشوبـة بالكدر، ممزوجـة بالهـم معروفة بالنّكـد: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾، وكل عاقـل وعالم وأديـب وفيلسوف يقدم لك وصفة في مواجهة أحزانها ومصائبها، فأبو الطيب المتنبي يقول لك:

لا تَـلـقَ دَهـــرَكَ إلا غَـيـرَ مُـكـتَرِثٍ

مــادامَ يَـصـحَـبُ فـيـهِ روحَـــكَ الـبَـدَنُ

فهو يدعوك لعدم المبالاة ومواجهة الأمور بعدم اكتراث، ولكن إيليا أبو ماضي يدلّك على التّبسم في وجه الحوادث:

قــال: الـلـيـالي جـرّعـتْـنـي علـقـمًا

قـلـتُ: ابتسم ولـئـن جَـرعَـت العلقما

إذاً، ابتسـم أمام كل أزمة وعنـد كل مصيبة ومع كل ألم؛ لأن التّحسر والبكاء والنـدم لا يجـدي، لكن التّبسـم إعلان للانتصـار وإظهار للظفـر وتعزية للنفس وإثبـات للصبر ورضا بالقـدر واعتراف بالواقع، يوم مـات ابنك فبكيت هل عاد؟ يـوم خسرت المال فتأسّفت هل رجع مالك؟ قهـرك العدو فصرخت وضجرت فهل انتصـرت عليه؟ إذاً لا تحـوّل المصيبة إلى مصيبتين ولكن عنـد الأزمة اصنع من الليمـون شراباً حلـوًا، وقد حفظ لنا التاريخ عظماء صارعـوا الأحداث وعاركتهم الملمـات وهـم يتبسّمون في عـين العاصفة ويضحكون في وجـوه الخطوب، كما قال أبوالطيب لسيف الدولة:

وَقَفتَ وَما في المَوتِ شَكٌّ لِواقِفٍ
كَأَنَّكَ في جَفنِ الرَّدى وَهوَ نائِمُ

تُمِرُّ بِكَ الأَبطالُ كَلمى هَزيمَةً
وَوَجهُكَ وَضّاحٌ وَثَغرُكَ باسِمُ

ولما مات ابن الفضيل بن عياض ضحك الفضيل، فقال له أصحابه: ما لك؟ قال: ليعلم ربي أني رضيتُ، ولما وقعت الهزيمة في أحد على المسلمين وكثر القتل والجراح في المؤمنين قال الرسول ﷺ لأصحابه: «**صفّوا ورائي لأثني على ربي**». بل بعضهم كان يقابل النوائب بالنعاس وقد جعله الله حلاً للمؤمنين فقال عنهم في أحد: ﴿ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ ﴾ وكان مع الحجاج بن يوسف ثلاثة آلاف مقاتل ومع شبيب الخارجي ستون فارساً فأخذ شبيب من قوة قلبه ومضاء عزيمته ينعس على بغلته ثم دارت الحرب فانتصر على الحجاج وهزم جيشه وطاردت زوجته غزالة الحجاج بجند قليل معها، حتى خرج من قصر الإمارة فقال الشاعر يهجو الحجاج:

هَلاّ بَرَزتَ إِلى غَزالَةَ في الوَغى
بَل كانَ قَلبُكَ في جَناحَي طائِرِ

أَسَدٌ عَلَيَّ وَفي الحُروبِ نَعامَةٌ
فتخاء تجفلُ مِن صَفيرِ الصافِرِ

إذاً، ليس لي ولك من حل أمام أي معضلة أو نكبة إلا التّبسم إذا لم تستطع النوم والنعاس.

إن في الناس عظماء وصابرين يتبسّمون عند كل ملمّة ومع كل مصيبة وهم أهل الرضا والأمن الداخلي والإيمان القوي، إنهم أصحاب القلوب الكبيرة منهم المقعد على كرسيّه الذي يوزع البسمات على الجمهور، ومنهم المريض من سنوات

على السرير الأبيض الذي تزين وجهه بسمة الرضا، ومنهم من خسر ثروته فسلّم للقـدر وتبسّم أمـام الأمر الواقع، أيها الراضون بقضـاء الله، أيها المتبسمون عند الخطوب: ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴾.

ضحايا التقليد الأعمى

الأمم المغلوبة تقلّد الأمم الغالبة هذا ما قرره رائد علم الاجتماع ابن خلدون وهي نظرية معتبرة وقد تحققت في أمتنا الإسلامية في هذا العصر وهي تعيش الغثائية والهامشية في كثير من نواحي الحياة، وليت بعض شبابنا الذين قلّدوا الغرب كانوا قلّدوهم في الصناعة والإنتاج والإبداع ولكنهم مع لأسف قلّدوهم في بعض الصور الباهتة البائسة كقصة الشعر عند مايكل جاكسون والعزف على الناي وفن أكل الهامبرجر والشّره في تناول البيتزا، وكما قلت في أرجوزة أمريكا:

منهم أخذنا العود والسيجارة

وما عرفنا نصنع السيارة

استيقظوا بالجد يوم نمنا

وبلغوا الفضاء يوم قمنا

وليت عدوى العمل والإنتاج والتقدم المادي انتقل إلينا نحن معشر العرب من الغرب ولكنه قفز إلى الشرق وتركنا في الوسط وذهب إلى الصين وسنغافورا وماليزيا وبقينا في الوسط العربي نحافظ على التراث الشعبي وكل منّا بيده هراوة يؤدي عرضة قبيلته ويُنشد بافتخار (القبيلة عزوتي يا عمى، عين الحسود) وما أدري من هو هذا الحسود الغبي الأحمق الذي أصابنا بالعين ولم يصب بعينه المشؤومة المعامل والمصانع والتكنولوجيا في الشرق والغرب، لكن الذي يعيش الوهم يبدع في الخيال الخصب ويتحدث عن إنجازاته الوهمية بإسهاب.

إن بعض شبابنا أراد أن يثبت لنفسه التمدن الحضاري والتطور فعلّق سلسلة على صدره وشدَّ الجنز على خصره وجعل على رأسه قبعة تحتها قصة شعر وهي آخر موضة في (هوليوود)، ليت شبابنا أعفوا أنفسهم من هذه القشور وأراحوا عقولهم من هذه التفاهات واتجهوا إلى حياة الجد والعمل والمثابرة، إن الحياة

قلب واعٍ وضمير حي ولسان صادق وقلم حكيم وريشة موحية وساعد مثابر، وليست الحياة خيال هائم ولا شعرَ مائل ولا تقليد أجوف ولا تصرفات رعناء ولا محاكاة بلهاء، وعجبي لا ينتهي ممن يمطرنا صباح مساء بقصائد في مدح الغرب ومقامات الثناء على الحضارة المادية ثم لا تجد في حياته من آثار هذا التقدم والحضارة إلا الأكل بالشوكة والملعقة وتناول الوجبة على موسيقى (بتهوفن)، لماذا الارتماء في أحضان الغير والاستخذاء للآخر ونحن أصحاب أعظم رسالة عرفها الكون وأحفاد من أسس أروع حضارة شهد لها التاريخ، ومن كان في شك من ذلك فليسأل بطاح مكة ومنابر بغداد وميادين دمشق ومقاصير القاهرة ومتاحف الزيتونة والقيروان ومغاني الزهراء والحمراء:

يومٌ من الدهرِ لم تصنعْ أشعّتَه

شمسَ الضُّحى بل صنعْناه بأيدِينا

الأرض بتتكلّم أردو

يهـدد الخليج طوفـان جارف مـن العمالة الآسيويـة السائبـة والمنظمة التي استولـت على سوق العمل وغـيّرت لهجات سكان الوطن فأصبـح الخليجي يرطن للعجـم بلغتهـم وصـار المواطـن يبحـث عـن عمل ولـو في سيـارات الأجـرة وبيع الخضـراوات، فـإذا بالسوق كلّها تعجُّ بـالأردو والبشتو، وصاحـب الشركة والعمل يقـدّم العمالة الوافـدة؛ لرخص أجرتهـا، ولأن المواطن في الغالـب يعمل بشروط وقيـود، والواجـب علينا أن ندرس الأخطـار المستقبلية لهذه السيـول البشرية من العمالـة الوافدة؛ لأنهم يشكّلـون قنبلة موقوتة قد تدمّر الدولة في الخليج وفي جدة بالسعودية مثلاً عمالة سائبة هاربة تشكل خلايا نائمة تنتظر من يشعل لها الفتيل لتأتـي على الأخضر واليابس، ومن درس التاريخ باعتبار عرف ذلك كما حصل في عهد المعتصم لما غلب العنصر الوافد على العنصر العربي وكذلك الخليفة المتوكل حتى وقعت دولة بين العباسية في الأفشين وأشناس وجوهر وغيرهم.

وفي الخليج مئـات الألوف من المواطنين العاطلين عـن العمل مستعدون للعمل سائقـين وخبّازين ونجّارين وبنشريين وخيّاطـين وهذه أعمال شريفة؛ لأن كل عمل يحفظ ماء الوجه فهو عمل نبيل شريف، وكان أنبياء الله يعملون في أعمال فاضلة، كان نـوح نجّـارًا، وداود حدّادًا، وإدريس خيّاطًا، وما مـن نبي إلا رعى الغنم، ولكن عندنـا شباب أهلكهم الكبر والفقر كما قيـل: (أحشفاً وسوء كيله)، وقالت العامة: (أعمى ويناقر) وما علموا أن عرق العامل أزكى من مسك العاطل، وأن فأس الفلاح أشرف من وتر الهائم، وأنا أشكر شباباً ألقوا رداء الكسل، وودّعوا الأماني، واتجهوا للأعمال؛ لأنهم يعلمون أن قيادة (التاكسي) في طلب المعيشة أشرف من حمل ملف الشحاذة والوقوف على باب تاجر شرس عابس الوجه صفر من الخير.

وأصـل المشكلـة في العمالة الهاربـة السائبة والوافدة أن الكثـير يغلب عليهم الجهـل والتّلبس بمخالفات كبرى كالسحر والشعـوذة وتعاطي المخدرات والترويج

للسلب والنهب وهم يشكلون طابوراً منظّماً قابلاً للانقضاض في الوقت المناسب كما حصل لثورة الزنج في بغداد في القرن الثالث وكما حصل في ثورة العيّارين والحشَّاشين في القرن الرابع والتاريخ يعيد نفسه ومن أنذر فقد أعذر.

ليتنا نُنشئ معاهد للتدريب على أعمال الفنادق والخدمة وسائر الحِرَف من تجارة وسباكة وخياطة وننفض عن الجيل غبار الوهم والكسل الذي سبب لهم القلق والقهر النفسي والانهيار العصبي ونقتصد في الحفلات الشعبية والإسراف في ذبح البقر والجمال والخراف وختم ذلك برقصات يعلن فيها الشاعر تفوّق قبيلته على كل القبائل وأنها بلغت الجوزاء شرفاً وفخراً وأنها حجبت الشمس بسيوفها وهذا كله كلام فارغ؛ لأن كثيراً من القبائل لم يحفظ أحدهم ثلاثة أحاديث ولم يقرأ عشر صفحات من كتاب نافع ولو سألته عن أحكام سجود السهو أو السنن الكونية في الأمم أو أخبار الدول أو بيت حكمة أو مَثَل شارد لما أجابك بحرف.